"إذ ما، ومَنْ) ، الشرطيتان؛ استعمالاتهما ودلالاتهما في شعر جبران خليل جبران"

الباحثة / منى محمد أحمد إبراهيم

أولًا: (إذ ما) استعمالاتها ودلالاتها في شعر جبران خليل جبران:

تتكون (إذ ما) من (إذ) الظرفية، و (ما) الزائدة، قال سيبويه: " فتصير إذ مع ما بمنزلة إنما وكأنما، وليست ما فيهما بلغو، ولكن كل واحد منهما مع ما بمنزلة حرف واحد"(١)، ولا تكون (إذ ما) من حروف الجزاء إلا بعد إضافة (ما) إليها، قال سيبويه: "ولا يكون الجزاء في حيث ولا في إذ حتى يضم إلى كل واحد منهما ما" (٢)، كما أكد ذلك المبرد في كتابه الكامل في قوله: " فأنت في زيادة "ما" بالخيار في جميع حروف الجزاء، إلا في حرفين، فإن "ما" لابد منها، والحرفان: "حيثما، إذ ما"، قال العباس بن مرداس:

إذْ ما أتيتَ على الرسول فقُلْ له حَقّاً عليك إذا اطْمَأنَّ المَجْلِسُ(٣)

فلا يكون الجزاء في" حيث" و"إذ" إلا بما (٤).

ويعلل المبرد ذلك بقوله: "ولا يكون الجزاء في إذ ولا في حيث بغير ما؛ لأنهما ظرفان يضافان إلى الأفعال وإذا زدت على كل واحد منهما ما منعتا الإضافة فعملتا" (٥).

ويوضح ابن يعيش ذلك بقوله: "الشاهد فيه –البيت السابق– مُجازاتُه بـ "إذْ مَا"، ودل على ذلك إتيانُه بالفاء جوابًا؛ لأنّها صارت بدخولِ "مَا" عليها، وكَفِّها لها عن الإضافة المُوضحةِ الكاشفةِ عن معناها، مبهمة بمنزلةِ "مَتَى"، فجازت المجازاةُ بها، كما يُجازَى بـ "متَى". والفرقُ بين "مَتَى" و"إذْ" أن "متى" للزمان المطلق، و"إذْ" للزمان المعين إلَّا أنّ "إذْ" تفسير بتركيب "مَا" معها حرفا من حروف الجزاء عند سيبويه، وتخرج عن حَيزِ الأسماء"(٦).

---

(١) الكتاب: لسيبويه ، (٥٧/٣).

(٢) المرجع السابق، (٥٦/٣).

(٣) البيت لعباس بن مرداس السلمي في ديوانه، جمع وتحقيق: د/ يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص ٨٨.

(٤) الكامل في اللغة والأدب: للمبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، (ت: ٢٨٥هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، ط٣، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م، (٢٣٠/١).

(٥) المقتضب: للمبرد، (٤٧/٢).

(٦) شرح المفصل: لابن يعيش، (١٢٥/٣).

وممن أكدوا على أن (إذ ما) تكون للجزاء ابن عقيل في شرحه على ألفية ابن مالك في أثناء حديثه عن الأدوات التي تجزم فعلين، وأورد شاهدًا على ذلك، فيقول: "الثاني: ما يجزم فعلين وهو إن ...، ومتى ...، وأيان ...، وأينما ...، وإذ ما" [1].

كذلك يؤكد ابن السراج ذلك بقوله: "لا يجازى بحيثُ وإذْ حتى يُضم إليهما "مَا" تصير مع كل واحد منهما بمنزلة حرف واحد. فتقول إذا جازيت بهن: حيثُما تذهبْ أذهبْ، وإذ ما تفعل أفعلْ"[2]. ويوضح ابن يعيش عدم مجازاة (إذ) إلا بإضافة (ما) إليها بقوله: "وليست "إذْ" كذلك لتبيين وقتها وكونه ماضيًا، والشرطُ إنّما يكون بالمستقبل، فلذلك ساغ أن يليها الاسمُ والفعلُ. فإذا دخلتْ عليها "مَا"، كفتْها عن الإضافة" [3].

وبمطالعة الديوان وجدت أن (إذ ما) جاءت للمجازاة والشرط على النحو التالي:

الصورة الأولى: (إذ ما) + (فعل ماضٍ) + (فعل ماض).

المثال الأول: قول الشاعر من (الرمل):

خَـــالِصُ النِّـــسْبَةِ فِـــي العِتْـــقِ إِذَا مَـــا دَعَـــا لِلفَخْـــرِ دَاعٍ فَانْتَـــسَبْ[4]

وجاء التركيب النحوي للجملة الشرطية في هذا البيت على النحو التالي:

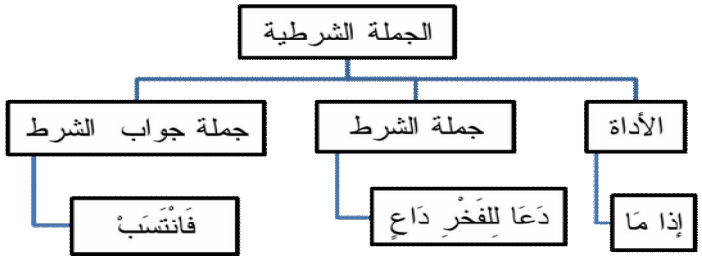

في هذا البيت جاء الأسلوب الشرطي مكونًا من أداة الشرط (إذا مَا) شرطية جازمة، وجاء فعل الشرط ماضٍ صرفته (إذا ما) للاستقبال (دَعَا)، وهو فعل ماضٍ مبني على الفتح في محل جزم، وجاء جواب الشرط جملة فعلية فعلها ماضٍ مبني على السكون في محل جزم (فَانْتَسَبْ).

---

(1) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: لابن عقيل، (٢٧/٤ – ٢٩).

(2) الأصول في النحو: لابن السراج، (١٥٩/٢، ١٦٠).

(3) شرح المفصل: لابن يعيش، (١٢٥/٣).

(4) الديوان، (٣١٠/١).

الصورة الثانية: (ما) + (فعل ماضٍ) + (فعل مضارع).

☒ **المثال الأول: قول الشاعر من (السريع):**

شُـــعَاعُ عَيْنَيْهَـــا إِذَا مَـــا رَنَـــتْ يُوقِعُ فِـــي الأَنْفُـــسِ مِنْهَـــا الرَّهَـــبْ (١)

جاء التركيب النحوي للجملة الشرطية في هذا البيت على النحو التالي:

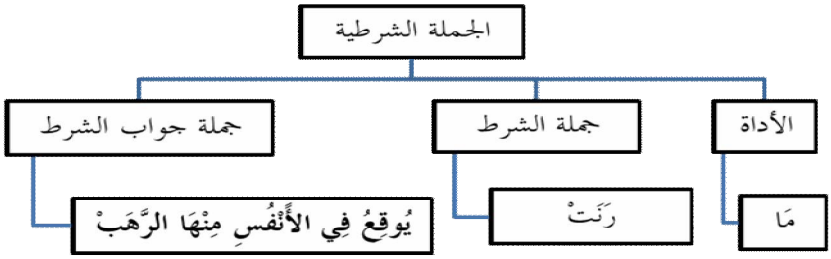

جاء الأسلوب الشرطي في هذا البيت من أداة الشرط (مَا) شرطية جازمة، وجاء فعل الشرط ماضٍ صرفته (ما) للاستقبال (**رَنَتْ**)، وهو فعل ماضٍ مبني على الفتح في محل جزم، وجاء جواب الشرط جملة فعلية فعلها مضارع (**يُوقِعُ فِي الأَنْفُسِ مِنْهَا الرَّهَبْ**).

الصورة الثالثة: (إذ ما) + (فعل ماضٍ) + (فعل مضارع منفي).

المثال الأول: قول الشاعر من (المديد)(٢)**:**

فَـــإِذَا مـــا سَـــارَ سِـــيرَتَهُ لَـــمْ يَجِـــدْ صَـــعْباً مِـــنَ الـــصَّعْبِ (٣)

جاء التركيب النحوي للجملة الشرطية في هذا البيت على النحو التالي:

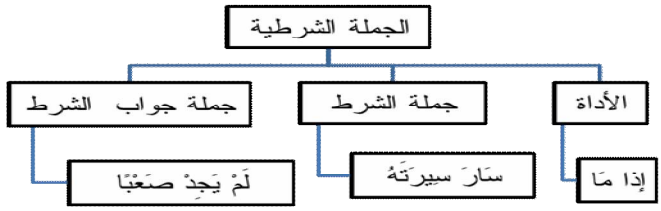

جاء الأسلوب الشرطي في هذا البيت من أداة الشرط (إذا مَا) شرطية جازمة، وجاء فعل الشرط ماضٍ صرفته (إذا ما) للاستقبال (سَارَ)، وهو فعل ماضٍ مبني على الفتح في

---

(١) الديوان، (٢٤٤/١).

(٢) وَهُوَ على ستَّة أَجزَاء: (فاعلاتن فاعلن فاعلاتن ... فاعلاتن فاعلن فاعلاتن)

وَأَصله في الدائرة ثمَانية وَلَا يسْتَعْمل إِلَّا مجزوءا، وَله ثَلَاثَة أعاريض وَستَّة أضْرب، وهذا البحر من البحور القليلة الاستعمال، ينظر: كتاب العروض: ابن جني، (٦٤/١)، علم العروض والقافية: عبد العزيز عتيق، (٣٩/١).

(٣) الديوان، (٣١٩/١).

محل جزم، وجاء جواب الشرط جملة فعلية فعلها مضارع منفي (لَمْ يَجِدْ) مجزوم وعلامة جزمه السكون؛ لأنه صحيح الأخر.

الصورة الرابعة: (إذ ما) + (فعل ماضٍ) + (جملة اسمية).

المثال الأول: قول الشاعر من (الوافر)[1]:

إِذَا مـــا بَـــانَ أَتْـــرَابِ فـــإِنِّي لَفِي أَهْلِـي وَفِـي وَطَنِـي غَرِيـبُ [2]

وجاء التركيب النحوي للجملة الشرطية في هذا البيت على النحو التالي:

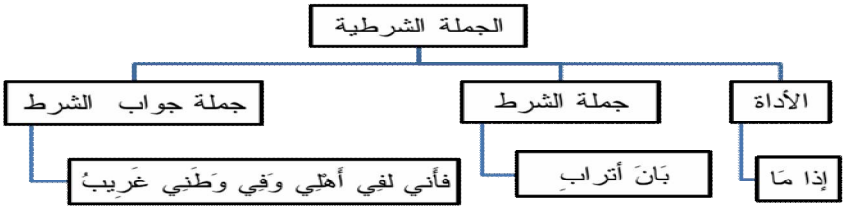

نلاحظ أن الأسلوب الشرطي في هذا البيت تكون من أداة الشرط (إذا مَـا) شـرطية جازمة، وجاء فعل الشرط ماضٍ صرفته (إذا ما) للاستقبال (بَانَ)، وهو فعل مـاضٍ مبنـي على الفتح، وهو في محل جزم، وجاء جواب الشرط جملة اسمية (لَيْسَ بِنَاضِبٍ) مكونة من فعل ناسخ (ليس) واسمه محذوف تقديره (هو) وخبره شبه جملة مـن الجـار والمجـرور (بِنَاضِبٍ).

ثانيًا: (من)؛ استعمالاتها ودلالاتها في شعر جبران خليل جبران:

(مَنْ) اسم موصول، وهي في الأصل لمن يعقل[3]، يقول سـيبويه: "ومـن، وهـي للمسألة عن الأناسي، ويكون بها الجزاء للأناسي، ويكـون بمنزلـة الـذي للأناسـي"[4].

---

(1) وَهُوَ على سِتَّة أَجزاء: (مفاعلتن مفاعلتن فعولن مفاعلتن مفاعلتن فعولن) ،وله عروضان وثَلَاثَة أَضرُب، ينظر: كتاب العروض: لابن جني، (٨٠/١)، علم العروض والقافية: لعبد العزيز عتيق، (٥٤/١).

(2) الديوان، (٣٠٦/١).

(3) وقد تستعمل في غير العقلاء في الأحوال الآتية:

أ- إذا كان الكلام يدور في شيء له أنواع متعددة، مفصلة بكلمة: "مَنْ" وفي تلك الأنواع العاقل وغيره، مثل: قوله تعال: {وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْـشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ....} (النور: ٤٥).

ب- إذا وقع منْ غير العاقل أمر لا يكون إلا من العقلاء؛ فعندئذ نشبهه بهم، وننزله منزلتهم في استعمال: "منْ". كأن تسمع البلبل يشدو بلحن شَجِيّ واضح التنغيم، فتقول: أطربني "مَنْ" يغنـي فـي عشه بأطيب الأناشيد.

ج- أن يكون مضمون الكلام متجهًا إلى شيء يشمل العاقل وغيره، ولكنك تراعي أهمية العاقل؛ فتغلبه على سواه. مثل: أيها الكون العجيب، من فيك ينكر قدرة الله الحكيم؟. ينظر في ذلك: إعراب القرآن: النحاس (٣٣٨هـ)، (١٤٤/٣)، والصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: ابن فارس (ت٣٩٥هـ)، ص ١٣، وفقـه اللغـة وسـر العربيـة: الثعـالبي (ت٤٢٩هـ)، (١٢١٤/١)، وشرح تسهيل الفوائد: لابن مالك، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (ت: ٦٧٢هـ)، المحقق: د. عبد الـرحمن الـسيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، (١٤١٠هـ – ١٩٩٠م) ، (٢١٧/١)، وشرح شذور الذهب في معرفة كـلام العـرب: الجَـوجَري (ت٨٨٩هـ)، (٣١٠/١)، وشرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو: لخالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكـان يعـرف بالوقاد (ت: ٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية -بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، (١٥٦/١)، وهمع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية: للسيوطي (ت٩١١هـ)، (٣٥١/١)، وجامع الدروس العربية: للغلاييني، مصطفى بن محمد سليم الغلاييني (ت: ١٣٦٤هـ)، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ط٢٨، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م، (١٣٣/١)، والمـوجز فـي قواعد اللغة العربية: الأفغاني، سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني (ت: ١٤١٧هـ)، دار الفكر – بيروت – لبنان، الطبعة : ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، ص ١١٧، والنحو الوافي: عباس حـسن، (٣٤٨/١).

(4) الكتاب: لسيبويه، (٢٢٨/٤).

ويرتضي بعض النحاة أن يقال: "من" للعالم، بدلًا من العاقل؛ لأن الله يوصف بأنه عالم ولا يقال له عاقل، ولم يتمسك بهذا فريق آخر، ثم ضمنت معنى الشرط [1]، وإذا لم تتضمن "من"، معنى الشرط فليست بشرطية، فقد تكون موصولة، أو استفهامية، وهي مبهمة، تؤدي معنى المفرد والمثنى، والجمع، ويفرق بين هذه المعاني الضمير العائد إليها [2]، ومنه قوله تعالى: ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾[3]، فمن هنا تدل على المفرد المؤنث بدليل الضمير العائد إليها.

ولا تدل (مَنْ) بذاتها على زمن معين معروف البداية والمقدار؛ لأنها تربط الجواب بالشرط، وقال فريق آخر إنها تفيد –أحيانًا– مع الشرط الزمن المؤقت، من غير أن تعتبر، ولا أن تعرب بسببه ظرف زمان – وكل هذا بشرط وجود قرينة تدل على الزمن؛ كقولنا: "من يلمس نارًا تحرقه"، أي: مدة لمسه النار تحرقه.

وتستعمل (مَنْ) في باب الجزاء؛ لأنها تدل على معنى العموم لمن يعقل، يقول ابن الوراق في علله: " وَأما (من): فَجَاز اسْتِعْمَالهَا فِي الْجَزَاء، لِأَن (من) فِيهَا معنى الْعُمُوم لجَمِيع من يعقل، فَلَو اسْتعْملت (إِن) وَحدهَا وغرضك الْعُمُوم، لم يمكنك أَن تقدر جَمِيع الْأَسْمَاء الَّتِي للأشخاص، أَلا ترى أَنَّك إِذا قلت: من يأتني أكْرمه، أَن هَذَا اللَّفْظ انتظم الْجَمِيع، أَعنِي: جَمِيع من يعقل، وَإِذا قلت: إِن يأتني زيد أكْرمه، وعددت أشخاصاً كَثِيرَة على التَّفْصِيل، لم يسْتَغْرق جَمِيع من يعقل، وَإِن توسع فِي ذكر أَقوام، و (من) تَقْتَضِي الْعُمُوم من غير تَكْرِير، فَلذَلِك اسْتعْملت فِي بَاب الْجَزَاء [4].

وقد وردت (مَنْ) الشرطية في الديوان بأنماط الجمل الشرطية المختلفة، وذلك على النحو التالي:

النمط الأول: مَنْ + جملة الشرط + جملة جواب الشرط

وجاء هذا النمط موافقًا لترتيب الجملة الشرطية التي اتفق عليها النحويون، فالأصل في بناء الجملة الشرطية أن تكون من أداة الشرط، يليها جملة الشرط، وهذا النمط من التركيب الشرطي هو أصل الأنماط الشرطية جميعها؛ وذلك لتمثله غايات الشرط المتمثلة أساسًا في الدلالة على الاستقبال وإعمال الأداة (مَنْ) جزمًا في الفعلين اللذين يليانها إذا كانا مضارعين، وفي محل جزم إذا كانا ماضيين، ومن صورها في شعر خليل جبران ما يلي:

---

(1) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: لابن هشام، ص ٤٩٥، النحو الوافي: لعباس حسن، (٤٢٧/٤)، النحو المصفى: لمحمد عيد ، مكتبة الشباب، (د.ت)، ص٣٨١.

(2) ينظر: النحو الوافي: لعباس حسن، (٤٢٩/٤).

(3) سورة الأحزاب: من الآية ٣٠.

(4) ينظر: علل النحو: لابن الوراق، ص ٤٣٦.

الصورة الأولى: (مَنْ) + (فعل مضارع) + (فعل مضارع).

☒ **المثال الأول: قول الشاعر من الكامل:**

يَـــا كَوْكَبـــاً مَـــنْ يَهْتَـــدِ بِـــضِيائِهِ يَهْـــدِهِ طَـــالِعُ ضِـــلَّةٍ وَرِيَـــاءِ[1]

وجاء التركيب النحوي للجملة الشرطية في هذا البيت على النحو التالي:

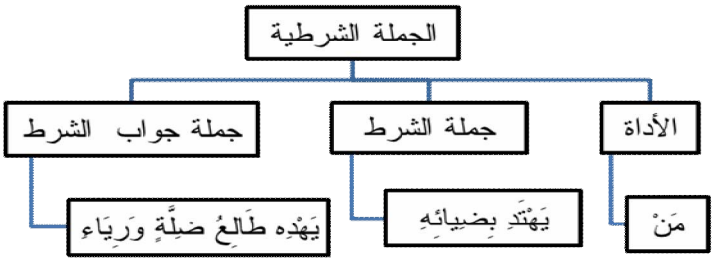

جاءت (مَنْ) في هذا البيت شرطية جازمة في محل رفع بالابتداء، أما فعل الشرط فقد جاء مضارعًا خالصًا للاستقبال، وهو فعل مضارع مجزوم بـ(من)، وعلامة جزمه حذف حرف العلة.

وجاء جواب الشرط جملة فعلية فعلها مضارع مجزوم بـ (من)، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، ومتحقق فيه الدلالة على الاستقبال، وقد تحقق في هذا الأسلوب الشرطي مجموع الشروط.

☒ **الصورة الثانية: (مَنْ) + (فعل ماضٍ) + (فعل مضارع).**

☒ **المثال الأول: قول خليل جبران من الكامل:**

مَـــنْ قَـــالَ قَبْلَـــكَ فِـــي رِثَـــاءٍ نِقْـــسُهُ يَجْرِ دَماً مَـــا قُلْـــتَ فِـــي الْحَمْـــرَاءِ [2]

وجاء التركيب النحوي للجملة الشرطية في هذا البيت على النحو التالي:

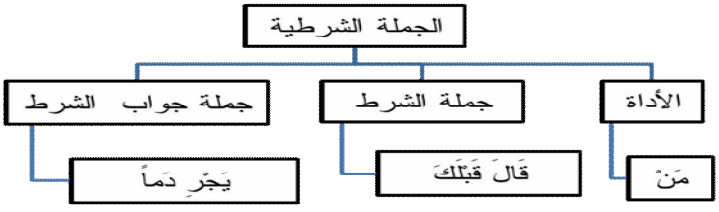

(١) الديوان، (١/١).

(٢) الديوان، (٢٦/١).

في هذا البيت جاءت (مَنْ) للعاقل وهي شرطية جازمة في محل رفع بالابتداء، أما فعل الشرط فقد جاء ماضيًا مبنيًا على الفتح في محل جزم، صرفته (مَنْ) للاستقبال، وجاء جواب الشرط جملة فعلية فعلها مضارع مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، ومتحقق فيه الدلالة على الاستقبال، وقد تحقق في هذا الأسلوب الشرطي مجموع الشروط.

الصورة الثالثة: (مَنْ) + (فعل ماضٍ) + (فعل مضارع منفي).

المثال الأول: قول الشاعر من مجزوء الكامل:

أَعْلَى احْتِسَابٍ بَذْلُ مَنْ لَبَّى وَلَمْ يَبْغِ احْتِسَابَا [1]

وجاء التركيب النحوي للجملة الشرطية في هذا البيت على النحو التالي:

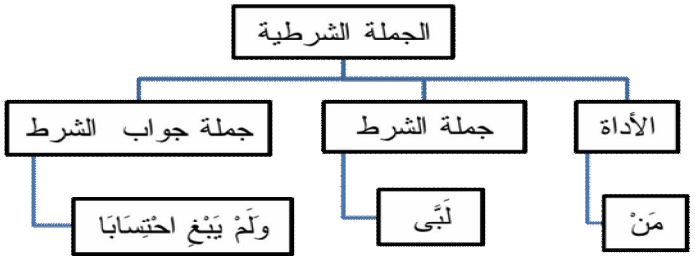

جاء أسلوب الشرط في هذا البيت مكوناً من أداة الشرط (مَنْ)، وهي شرطية جازمة في محل جر مضاف إليه، أما فعل الشرط فقد جاء ماضيًا مبنيًا على الفتح في محل جزم، صرفته (مَنْ) للاستقبال، وجاء جواب الشرط جملة فعلية فعلها مضارع منفي مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، المعوض عنها بالكسر، وهو فعل مضارع متحقق فيه الدلالة على الاستقبال.

الصورة الرابعة: (مَنْ) + (فعل ماضٍ) + (فعل ماضٍ).

المثال الأول: قوله من الكامل:

مَنْ صَالَ فِي فَلَكِ الخَيَالِ مَصَالَهُ فَأَتَى بِكُلِّ سَبِيَّةٍ عَذْرَاءِ[2]

جاء التركيب النحوي للجملة الشرطية في هذا البيت على النحو التالي:

---

(1) الديوان، (١/١٧٢).

(2) الديوان، (١/٢٤).

في هذا البيت جاء أسلوب الشرط مكوناً من أداة الشرط (مَنْ)، وهي شرطية جازمة في محل رفع بالابتداء، أما فعل الشرط (صَالَ) فقد جاء ماضيًا مبنيًا على الفتح في محل جزم، صرفته (مَنْ) للاستقبال، وجاء جواب الشرط جملة فعلية فعلها (فأتى) ماضٍ مبني على الفتح في محل جزم، صرفته مَنْ للاستقبال.

☒ **المثال الثاني: قول الشاعر من مجزوء الخفيف[1]:**

مَـــــنْ رَأَى مِـــــنْهُمُ المَكَـــــانَ لِفَـــــوْزٍ بِـــــهِ وَثَـــــبْ [2]

جاء التركيب النحوي للجملة الشرطية في هذا البيت على النحو التالي:

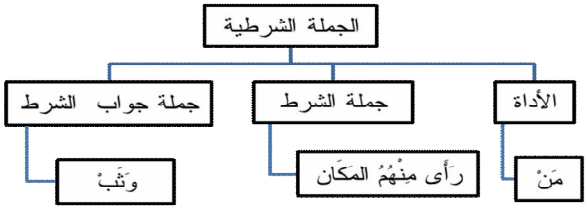

في هذا البيت جاء أسلوب الشرط مكوناً من أداة الشرط (مَنْ)، وهي شرطية جازمة في محل رفع بالابتداء، أما فعل الشرط (رأى) فقد جاء ماضيًا مبنيًا على الفتح في محل جزم، صرفته (مَنْ) للاستقبال، وجاء جواب الشرط جملة فعلية فعلها (وثبْ) ماضٍ مبني على الفتح في محل جزم، لكنه جاء بالسكون للضرورة الشعرية، وقد صرفته مَنْ للاستقبال.

الصورة الخامسة: (مَنْ) + (فعل ماضٍ) + (فعل ماضٍ منفي).

المثال الأول: قول الشاعر من مجزوء الخفيف:

إِنَّ مَـــــنْ قَـــــالَ فِـــــيهِمُ أَعْـــذَبَ المَـــدْحِ مَـــا كَـــذَبْ [3]

جاء التركيب النحوي للجملة الشرطية في هذا البيت على النحو التالي:

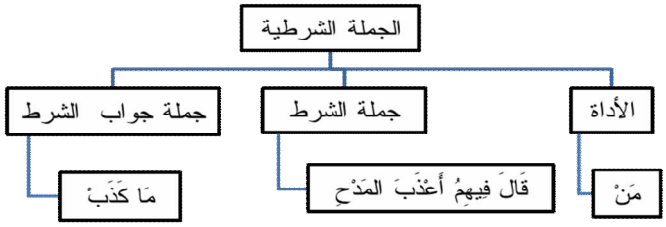

(1) يأتي مجزوء الخفيف على أربع تفعيلات، كل اثنتين في شطر هكذا: فاعلاتن مستفع لن ... فاعلاتن مستفع لن ينظر: علم العروض والقافية: لعبد العزيز عتيق، (١٠١/١).

(2) الديوان، (١٧٣/١).

(3) الديوان، (١٨٠/١).

في هذا البيت جاء أسلوب الشرط مكونًا من أداة الشرط (مَنْ)، وهي شرطية جازمة في محل رفع بالابتداء، أما فعل الشرط (قَالَ) فقد جاء ماضيًا مبنيًا على الفتح في محل جزم، صرفته (مَنْ) للاستقبال، وجاء جواب الشرط جملة فعلية منفية فعلها (ما كَذَبْ) ماضٍ منفي بـ (ما) مبني على الفتح في محل جزم، لكنه جاء بالسكون للضرورة الشعرية، وقد صرفته (مَنْ) للاستقبال.